

الإحكام لابن حزم

فإن قال قائل فأنت تصف الآن محمدا A بأنه يريد أن يزداد أهل الأرض خيرا وهذا خلاف قولك إن D لم يرد هذا بكل الناس فقد وصفت محمدا A بأفضل مما وصفت به D وبأنه أرفأ بنا من D تعالى .

قال علي فنقول وبإ التوفيق هذه شغبية ضعيفة وإنما يماثل بين الشئيين أو يفاضل بينهما إذا كانا واقعين تحت نوع واحد أو تحت جنس واحد وليس صفتنا D تعالى من نوع صفتنا للمخلوقين ورحمة محمد A بالناس هي من جنس تراحمنا بعضنا لبعض إلا أنها أعلى من كل رحمة إنسي وأكمل وأتم وأدوم وليس D تعالى واقعا معنا تحت نوع البشرية كوقوع محمد A معنا تحتها وإن كان أفضل من كل من دونه ولا يثنى على D بما يثني به على خلقه ألا ترى أننا نصف D مثنين عليه بأنه جبار متكبر وهذا في كل مخلوق دونه تعالى ذم شديد واستنقاص عظيم ونصفه تعالى بأنه ذو غضب شديد أنه يفعل ما يريد وأنه ذو مكر لا يؤمن . وكل هذا لو وصفنا به مخلوقا لكان ذما ونقصا .

ونمدح المخلوقين بالعقل والكيس والنبيل والنجدة والعفة وكل هذا لا يجوز أن يوصف به D فمن أراد أن يقيس رحمة D تعالى لخلقه برحمة نبيه A لهم فقد ألد في وصفه لربه تعالى وقد علمنا يقينا أن D لم يرد قط أن يهدي أبا طالب ولو شاء أن يؤمن لشرح صدره للإسلام بل أراد أن يعذبه في نار جهنم أبدا وعلمنا يقينا أن محمدا A كان من أبعد آماله أن يؤمن أبو طالب وقد كفانا D تعالى ذلك بقوله { إنك لا تهدي من أحببت ولكن يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين } .

فأما من آمن بالله فأرفأ به من نفسه بنفسه ومن محمد A ومن أبيه وأمه اللذين ولداه . لأنه جازاه على ذلك بما لو ملك الاختيار لم يبلغ مقدار ما أعطاه D تعالى في الجنة ولا سمح له أبواه بذلك ولأنه تعالى غفر له ما لو فعله عاصيا لأبيه ما غفر له ذلك فإن الرجل يزني بأمة D تعالى فيغفر له بالتوبة وبموازنة حسناته لسيئاته ولو زنى بأمة أبيه لقطعه